الفصل السابع والعشرون

القسم

حروف القسم :

تقدم الحديث في فصل حروف الجر عن واو القسم وتائه .

حذف فعل القسم وخبر المقسم به :

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [1] : " قال سيبويه وجميع أهل اللغة : العَمْر والعُمْر في معنى ، فإذا استعمل في القسم فتح لا غير ، وإنما آثروا الفتح لأنه أخف عليهم وهم يكثرون القسم بـ(لعمري) و(لعمرك) ، فلما كثر استعمالهم إياه آثروا الأخف عليهم ، وارتفع (لعمرك) بالابتداء والخبر محذوف ، المعنى: لعمرك قسمي أو ما أقسم به ، وحذف الخبر لأن في الكلام دليلا عليه ... وباب القسم يحذف فيه الفعل ، تقول : والله لأفعلن ، المعنى : أحلف والله ، وأحلف بالله ، فتحذف (أحلف) لعلم المخاطب بذلك ، وكذلك يحذف خبر الابتداء كما ذكرنا " [2] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [3] : " اللام الأولى التي في (لمن) لام إن ، واللام التي في (ليبطئن) لام القسم ، و(من) موصولة بالجالب للقسم ، كأن هذا لو كان كلاما لقلت : إن منكم لمن أحلف والله ليبطئن ، والنحويون يجمعون على أن (من) و(ما) و(الذي) لا يوصلن بالأمر والنهي إلا بما يضمر معها من ذكر الخبر ، وأن لام القسم إذا جاءت مع هذه الحروف فلفظ القسم وما أشبه لفظه مضمر معها " [4] .

---

(١) الحجر /٧٢ .
(٢) معانيه ١٨٣/٣ .
(٣) النساء /٧٢ .
(٤) معانيه ٧٥/٢ ، ٧٦ .

اللام الموطئة للقسم ، ولام جواب القسم :

في توجيه قوله تعالى : ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [1] أجاز أن تكون (ما) للشرط وأن تكون موصولة ، وذكر أن كونها للشرط والجزاء أجود الوجهين ؛ لأن الشرط يوجب أن كل ما وقع من أمر الرسل فهذه طريقته ، وقال : " واللام دخلت في (ما) كما تدخل في (إن) التي للجزاء إذا كان في جواب القسم ، قال الله عز وجل : ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [2] ، وقال : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [3] ، فاللام في (إن) دخلت مؤكدة موطئة للام القسم ، ولام القسم هي التي لليمين ؛ لأن قولك : والله لئن جئتني لأكرمنك إنما حلفك على فعلك ، إلا أن الشرط معلق به ، فلذلك دخلت اللام على الشرط ، فإذا كانت (ما) في معنى الجزاء فموضعها نصب بقوله : (لما آتيتكم) ، والجزاء قوله : (لتؤمنن به) " [4] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [5] : " دخول اللام في (لقد) على جهة القسم والتوكيد ، وقال النحويون في (لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق) قولين :

جعل بعضهم (من) بمعنى الشرط ، وجعل الجواب (ما له في الآخرة من خلاق) ، وهذا ليس بموضع شرط ولا جزاء ، ولكن المعنى : ولقد علموا للذي اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ، كما تقول : والله لقد علمت للذي جاءك ما له من عقل ، فأما دخول اللام في الجزاء في غير هذا الموضع وفيمن جعل هذا موضع شرط وجزاء مثل قوله : ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [6] ونحو : ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [7] ، فاللام الثانية هي لام القسم في الحقيقة ؛ لأنك إنما تحلف على فعلك لا فعل غيرك في قولك : والله لئن جئتني لأكرمنك ، فزعم بعض النحويين أن اللام لما دخلت في أول الكلام أشبهت القسم فأجيبت بجوابه ، وهذا خطأ ؛ لأن جواب القسم ليس يشبه القسم ، ولكن اللام الأولى دخلت إعلاما أن الجملة بكمالها معقودة للقسم ؛ لأن الجزاء وإن كان القسم عليه فقد صار للشرط فيه حظ ، فلذلك دخلت اللام " [8] .

---

(١) آل عمران /٨١ . (٢) الإسراء /٨٦ . (٣) الإسراء /٨٨ . (٤) معانيه ١/٤٣٧ .
(٥) البقرة /١٠٢ . (٦) الروم /٥٨ . (٧) البقرة /١٤٥ . (٨) معانيه ١/١٨٦ ، ١٨٧ .

تقدير حرف القسم والمقسم به :

تقدم ذلك هنا ، ومن أمثلته أيضا :

ـ قال في قوله تعالى : ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [1] : " هذه لام القسم ، كقولك : والله ليجمعنكم " [2] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ...﴾ [3] في سورة الأنعام : " هذه اللام في (ليجمعنكم) لام قسم ، فجائز أن يكون تمام الكلام (كتب ربكم على نفسه الرحمة) ، ثم استأنف فقال : (ليجمعنكم) وكأن المعنى : والله ليجمعنكم ، وجائز أن يكون (ليجمعنكم) بدلا من (الرحمة) مفسرا لها ..." [4] .

حذف اللام الواقعة في الجواب :

يقول الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ إلى قوله : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [5] : " هذا قسم وجوابه ، المعنى : لقد أفلح ، ولكن اللام حذفت لأن الكلام طال فصار طوله عوضا منها " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [7] : " جواب القسم في (ق والقرآن المجيد) إنكم مبعوثون ، فعجبوا فقالوا : أإذا متنا وكنا ترابا ، أي : أنبعث إذا متنا وكنا ترابا ، ولو لم يكن لـ(إذ) متعلق لم يكن في الكلام فائدة ... ويجوز أن يكون الجواب : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [8] فيكون المعنى : ق والقرآن المجيد لقد علمنا ما تنقص الأرض منهم ، وحذفت اللام لأن ما قبلها عوض منها كما قال : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ إلى قوله : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [9] ، والمعنى : لقد أفلح من زكاها " [10] .

جواب القسم :

اهتم الزجاج في مواضع كثيرة ببيان جواب القسم ، وتقدمت هنا أمثلة لذلك ، ومن أمثلة ذلك أيضا :

---

(١) النساء /٨٧ .
(٢) معاني الزجاج ٨٧/٢ .
(٣) الأنعام /١٢ .
(٤) معانيه ٢٣٢/٢ .
(٥) الشمس /١ : ٩ .
(٦) معانيه ٣٣١/٥ .
(٧) ق /١ .
(٨) ق /٤ .
(٩) الشمس /١ : ٩ .
(١٠) معانيه ٤١/٥ .

قال في توجيه قوله تعالى :﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ﴾[1] :" ورفع (لا تعبدون) بالتاء على ضربين : على أن يكون (لا) جواب القسم ؛ لأن أخذ الميثاق بمنزلة القسم ، والدليل على ذلك قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾[2] فجاء جواب القسم باللام ، فكذلك هو بالنفي بـ(لا) ، ويجوز أن يكون رفعه على إسقاط (أن) ... "[3] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾[4] : " جواب (والنازعات) ـ والله أعلم ـ محذوف ، والمعنى كأنه أقسم فقال : وهذه الأشياء لتبعثن ، والدليل على ذلك: ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَةِ﴾[5] "[6] .

(١) البقرة /٨٣ . (٢) آل عمران /١٨٧ . (٣) معانيه ١٦٢/١ .
(٤) النازعات /١ . (٥) النازعات /١٠ . (٦) معانيه ٢٧٧/٥ .

obeikandl.com